A.U.B. LIBRARY

سليم حيدر

892.71
Ha595aFA

آفاق

Cat. Fol. 1951

76985

منشورات « دار المكشوف »

طبع من هذا الكتاب الف نسخة على ورق عادي واربع نسخ
على ورق « بولكي » مرقمة من ١ الى ٤ .

الطبعة الاولى ، ١٩٤٦

جميع الحقوق محفوظة

خيال

خاطر

يا خاطراً يمرُّ بي لا يعي
ويترك المأساةَ في أضلعي
سألتُ عنك الفكر ، في عقمه ،
وانت في قلبي وفي مدمعي !
أراود المجهولَ ، مستعصياً ،
إذْ أبتغي لقياك ، أو أدَّعي
والخاطر النفسيُّ لا ينجلي
حتى تعود النفس كالبلقع
يفرُّ منها ، دونما وقفةٍ
أهدأةٌ في العاصف الزعزع ؟..

أُحِسُّ في نفسي حنيناً الى
تصوير ذاك الخاطر المُسرع
وهـذه الألوان مصفوفة
واللّوح منصوبٌ على أربع
والريشة الشقراء مطروحة
والسائل الزيتيُّ في المجمع
والشمعة الشهبـاء رجراجة
وسجف هذا الليل لم يُرفع
فكلُّ شيءٍ بانتظار الرؤى
وبانتظار المعصم الطيّع !..

أُحِسُّهُ لحناً ... وتهوي على الـ
أوتار أنغـام الهوى المُبدع

وتعزف الذكرى تراويحهـا
وتدَّعي الآمال مـا تدَّعي ...

ويوشك القيثـار أنْ يستوي
متعتعـاً بالنغَم الأَرفع

لكنَّه ــ يا ويحه ! ــ خافتٌ
لا يوصل الألحـان بالمقطع

فمنذ مـات الحبُّ لم ترتعش
أوتارهُ من نقرة الاصبع !..

أحِسُّهُ شعراً ، وأغفو على الـ
أوزانِ ، والإلهـامُ يغفو معي
والجرس يحدو ، والقوافي لهـا
ترنيمة هوجـاء في مسمعي
والطرس منشورٌ على رغبـةٍ
والفكر مطويٌّ على مطمع
وللبراع العضب وثْبـاتُهُ
لكنَّ وجه الوحي لم يطلع
فكلُّ شيءٍ بانتظـار الرؤى
وبانتظار القَبَس الألمعي !..

لو كان لي منه مدى دهرِهِ
أَو عمريَ المقدور ، لم اقنع
فكيف بي ، وقد مضى وامضاً
كالبرق ، لا يلوي على موضع
آمنت بالغيب وإسراعِهِ
أَيعبر الدهر الى منزع ؟..
لو أَنَّ لي منه مدى قبلةٍ
ممرعـةٍ ، كالرفرف الممرع
لقلتُ هـذي قسمتي فاشربي
يا نفس ، وارضَيْ قبل ان تشبعي !..

يا منيتي ، يا خاطري المجتبى
ناشدتك الله ، تعالَ ... ارجع !
هذي ضلوعي مفزعٌ هادىء
إن كنتَ تواقاً الى مفزع
أو كنت تخشى قفصاً مظلماً
فهذه عيني ، حمى الأدمع
يا خاطري ، حتام تطوي المدى
أبعد هذا الجدب من مربع ؟..
ـ كأنما الدنيا ، على رحبها
ضاقت بذاك الخاطر المسرع !..

١٩٤٥

انتظار

انا بانتظـار الغيب ... والايام تمضي كالسحابِ
تنسلُّ من صلب المجيء ، وتغتدي طيَّ الذَّهاب
متشابهاتٍ — كالرمالِ السمر في وهج السراب ،
ظمآى ، تعبّ من الهجير طَفاوة الحرّ المُذاب ! —
وكأنمـا الأيام ، بعد الوِرْد ، تسعى للإياب
تمضي — خيولَ الحادثات — الى مدى الأزل الرُّحاب
فيسطِّر التـاريخَ وقعُ حوافر الدهر الصِّلاب !
وانا رهين الانتظـار ... أودُّ لو وقفتْ ببابي

أبداً أكذّب هاجسي ، وأذيب بالنجوى شبابي !
تجري الاماني في عروقي ، والمنـايا في ركابي
وتـذيقني الأيام والآلام ألوان العـذاب
فأرى غداً ينساب ، عبر اليوم ، للأمس المُثاب
والحُلم فيه ذابلٌ ، وبخاطري غضُّ الإهاب ...

انا بانتظـار الغيب يأتي بالاماني العـذاب
عزف الهوى أنشودة ، فغفا القرار على ربابي ...
انا ــ بانتظار الانتظار الخصب ــ مكبوتُ الرِّغاب
نام الزمان على انتظاري ... واستفاق على طِلابي !

١٩٤٤

شروق

أطلَّ الصباحْ
بوَشْيِ الاقاح
على وجهه عربدات السمَرْ
وفي مقلتيه اكتحال السحر
فمالت غصونْ
وشُقَّت عيون
تُطلُّ على يقظة المنتظَر ...
وفي الوكن رفَّ جناح !

وراءَ الجَبَلْ
نطاقٌ بلون اللهيب أطلّ
فزفّت طيورْ
وفاح العبير
وراح الفراش يمصّ الزهور
ويحمل منها اليها القُبَـل ...
وفي الخـدر ملّ سرير !

شروقْ

فللنور في الوكُنات خفوق

وللطيب في البرعمِ

وبالعشب طلٌّ مشوق

الى النَّيْسم

عـلى هينمات الخريرْ

سواقٍ تحثُّ الخطى للغدير

وملءُ الفضاءْ

أَغاني اللقاء

بحضن الصباح الوثير ...

وأنتِ ، رداحْ
تنامين كالجلمدِ
أمرَّ عليكِ الصباحْ
وقال : ارقدي !..
هنا بَسَمات الأقاح
هنا الياسمين الندي
هنا يا مليحة ملقى الملاح
ونحن على موعد !

صباحٌ كريمْ
وألف صباحْ ...
أطلَّ عليَّ النعيم
بوجه رداح !

١٩٤٣

غروب

غروبْ
وأفقٌ خضيب
ورجعٌ أسىً في حنايا الغمامْ
فلا العندليبْ
نجيٌّ، يبثُّ هوى المستهام
ولا الياسمينْ
— نديّ الجبين —
يُرَوِّي النسيم عبيراً وطيب!..

عروبْ

على جبهة الكون منه شحوب!

وبين الضلوعْ

خفوقٌ وجوع

الى مفرق الشمس خلف الربوع

كأنَّ التلالْ

دُمىً من رمال

بقلب الغروب

بقلب المُحال

تذوب

١٩٤٣

سجا الليل ...

سجا الليل ، ما الدنيا سوى غمرة الوهم
تلفُّ بني الدنيا بمُزرها الجهم
يرفُّ الكرى ، كالسحر ، في روعة الدجى
وترقب عين السهد رجرجة النجم
فيغرورق الأيقاظ في الوهم نوَّماً
ويسترسل النوّام في يقظة الحُلم
ويحضن هذا الليل ، في كنه سرّه
تباريح أسرار الأوادم والبهم
ويجري بياض البوح سراً معذّباً
على النسمة السوداء ، مستعذب الكتم!..

سجا الليـل ! دنيا تمَّحي في هواجسٍ
مجمجمةٍ ، محمومـةٍ في رؤى العتم
توسوس للساري فينتهِر الدُّجى
غنـاءً يكُمُّ الذعر ، مرتجف النغم
وتصطفق الأصداء ، والليـل سالك
فيهلَولع الساري على رجعـها الضخم
ويرجع للصمت الرهيب ، منقِّـلًا
خطاه على الليل الرهيب ، على الوَجم
ويشكـر للصرَّار أُنسَ غنـائه
ويسري ، على نور الحباحب ، في الأُجم !..

سجا الليل ! في وجـه الدُجنَّة شامة
من النور ، تهدي الفكر في ضِلَّة الحكم
فيـأتلق الديجور في قلب ذي الحجى
وتنطفىء الانوار للأبله الفدم
وتنتفض الاذهـان من غفوة الضحى
وتنغلق الابصـار في موتـة الجسم
فهـذا اخو ليلٍ ، يذيب دمـاغه
على الشمعة الشهبـاء — يا لذّة العلم !
وذاك اخو ليلٍ ، يذيب نهـاره
سدىً ، وينام الليل — يا حسرة الفهم !

سجا الليـل ، يا ساقي ! وضجَّ بيَ الظما
وزمزمت الاقـداح تشكـو من الحِرم
وهـذي كميت اللون ، جيَّاشة الهوى
معتَّقـة ترداد طيشاً على القِـدم
يدغدغني شوق الى رشف ثغرهـا
وأُمسك ــ مختاراً ــ لأذكي جوى النهم
وأرجهـا ، في العالمين ، تقيّـة
وأشربهـا ، في السر ، تبسم للرّجم
أداة التجلي ، فكرة شفَّ حرفهـا
عن الروح ، فانماعت على مصرع الكرم !..

سجا الليل ، يا ليلى ! وفي الخدر موضعٌ
يضجّ بعَرْف الشمّ والضمّ واللثم ...
وفي هدأة الظلماء رجع صبابةٍ
تخُزُّ ، كتبكيت الضمير من الأثم
صدى همساتٍ من شفاهٍ مريضة
تبوح بما يلقى الفؤاد من السقم
على أُذُنٍ صماء في الحب لا تعي
من الحب إلا متعة اللحم والعظْم
فمن فمها ، في أُذْنه ، صوت مغنمٍ
ومن فمه ، في أُذْنها ، أنّة الغُرم !..

سجا الليل ، أسجاف الظلام كثيفة
تكاد بها تستـاف رائحة الفحم !
وفي الغرفـة الجرداء تنمار شمعـة
مزعفرة الإشعاع ، واهنـة العزم
وتحت لحـافٍ عضَّه البؤسُ والاذى
يئنُّ الذي لم يبق منه سوى الرسم
صريع جوىً ، يقتات ذكرى وحسرة
على الأَرقِ الوخّاز ، في قبضة العُدم ...
فيـا حنظل الآلام ، ان كنت سائغاً
مع الامل الآسي ، تبارکت من طعم !

١٩٤٥

يا ليل ...

يا ليل ، يا غُمضَ الجفونِ يا سرحة الروح السجينِ
يا راحة الجسم المعـذَّب من تكاليف السنين
يا زفرة القلب المهدهد في أراجيح الشجون
يا ملعب الأحلام ، راقصة على عزف السكون
يا مفزع الأطيـار ، والافعى تكِشُّ على الغصون
يا مظلماً ، يا ظالمـاً يا مُشتكى الظلم الرَّعون
نامت عيونكَ — فالدجى متلبِّد — وصحتْ عيوني !..

يا ليل ، ما لون المدى في الليـل ، منتظراً غدا
أَوَليس من بِدَع الكناية أن نراه أسودا
ذهب المدى في الليل منهزماً ، كئيباً ، أرمدا
متعثّراً بالنسمة السوداء ، مَحْواً ، أجردا
لا لحمـة تُبدي خطوط الكائنات ، ولا سدى !..
كالتـائه المبهور في الصحراء يرتقب الهدى ،
ذهب المدى في الليل مغموراً ، سحيقاً ، اربدا ...

ليت الحياة العابرهْ — فُلْكاً بيمٍ ماخرهْ —
تُلقي هنا مرساة ما نهواه ، لا في الآخره
فلكم شعورٍ صائدٍ ، يا ليل ، أصمى شاعره !
يا ليل ، يا لون الذوائب والعيون الساحره
كم مقلةٍ ، تحت الدُجنَّة ، مثل عيني ساهره
تستشرف الظلماء ، شاخصة المعاني ، سادره
والطيف ممتنع — ألا تذكي الصبابة خاطره ؟!.

يا ليل ، آلاف الظنونِ فكتْ عُرى السر المصون
فتدافعتْ — عفو الحبيب — هواجسٌ مثل الجنون
تتمثَّل الاشباح شكاً عند إعراض اليقين ...
هذا الهزيع ... وبعده الدنيا تعود الى الفتون
وأُحِسُّ في الظلمات يقظتها تغيم على جبيني
وأُحِسُّ في النُوّام همهمةً ، وثقلًا في جفوني
فُتحت عيونهمُ على بعث المدى ... وغفت عيوني !

١٩٤٥

صفية ...

يا ليل ، انت لهذه الدنيا طُمَأْنينه
تتقلَّب النجوى على كَفَّيْك مأمونه
لا النور فضَّاح ولا الاسماع مسنونه !
وصغائرُ القوم
في اللؤم واللُّوْم
تهوي لديكَ بغمرة النوم
فتعيدها للصبح مكنونه
جيَّاشة ، نكراءَ ، مجنونه
تصِلُ افتراء الأمس باليوم !..

كم تفتدي، يا ليل، من سَوْم
لو كنت تبقيها الى الآباد مدفونه
في غمرة النوم
فتظلُّ أنفسنا عن الاحقاد في صَوم
وتظلُّ أنت لهذه الدنيا طمأنينه ..

١٩٤٥

قلب

سارية ...

سمراء ، عند الفجر ، مطلولة
فوّاحة ، عـذراء كالـبرعمِ
حجابهـا يشفُّ عن وجههـا
الشفَّافِ عن عرسٍ وعن مأتم
في خدّها إشراق حبٍ ، وفي
مقلتها غيمٌ ... وفي المبسم ...
تمشي ، وما اجملهـا مشيـةً
ملءَ الصبـاح الأسمر المسلم !..

ـــ يا أُختُ ! ما هذا السُّرى مَوْهِناً
والفجر في عين الدجى يحتمي
أرجعةٌ من زورةٍ للـذي
مثلي ، يسوق السهد للأنجم ؟
أم فكرة أنتِ ، وطيفٌ سرى
أم انتِ روح الشاعر الملهم ؟
ام لفتة من لفتـات المنى
تغلغلت في ظلمـة النَّيسم
وفاجأ الفجر ، فصـارت الى
صبيَّـةٍ مبرورة المَقْدم

وأسبلت حجابها خيفةً
تزورُ عن سارٍ وعن مُقْحَم ...
ام هكذا جئتِ ليظما فمي
ويلتظي قلبي ، ويغلي دمي ؟!.
لا تُسرعي الخطوَ ، فتوقيعه
رجعٌ لصرخات الهوى الأبكم
رفقاً بهذا الليل ، لا توقظي
أشباحه في أعين النُوَّم !..

١٩٤٤

دعوة

رياحٌ وبردُ
وبرق ورعد
الى أينَ ، دعد
تُرى ، تذهبين ؟..
على وجنتيكِ الدموعُ السِّحاح
ودمع السحاب يروِّي البطاح
وثوبكِ تعبث فيه الرياح
وتكشفُ ما تسترين ...

ووجه السماء
بلون المساء
مساءُ شتاء
ألا ترجعين ؟..
هنا الكوخُ : سقفٌ يردُّ المطرْ
وسجف الظلام يقينا النظر
وأرض كأنَّ عليها السُّرُر
ألا تجلسين ؟

تعالَيْ ! هنا مرقدي
الى جـانب الموقد
لعلَّ صبـاح الغد
صفاءٌ وصحوٌ ولين ...

١٩٤٣

ندى ...

يا خضرةَ الأمل المورقِ
ترفّقي
خضرتكِ الحلوة لا تعشقي !..

الليل مستمهلٌ ، لا يعي والشمس في منحنى المشرق
والفجر غافٍ على نسمةٍ زرقاء ، في أفقٍ ازرق
والطير ترعى أحيلامها والطيب ، يامي ، لم يعبق
والنور ، لون الفكر ، لم يدفق
والطيف ، روح الله ، لم يُعتق
يا طيبها هدأةً ، لا المنى ضجّت بها ... لا ، ولا ما بقي
إلا الندى !

إلا الندى ، قطرة الجوهر
إلا الندى ، نهلة الكوثر

الا الندى، قومي نعبّ الندى نشوة يوم لا يرجّي غدا
كيد العدا ، يا مي ، كيد العدا
أنْ نلتقي
في رفرفٍ بالمنحنى الضيّقِ لو علم الزهر بنا ما استحى
ونحتسي ندى الهوى الريّق ونوقظ الصبح، ونمشي الضحى
الى ضفاف الأمل المورق ..

١٩٤٢

في السينما ...

الى صديقي وديع طرابلسي ، الذي
خلق ليكون مستنطقاً ، فكان .

رأيتها ، فارتاح قلبي لها
كأنها اغنيَّة مبهمه
تسرَّبتْ نوراً الى مهجةٍ
مظلمةٍ ، في قاعةٍ مظلمه ...
وكان بين الصحب « مستنطق »
أتقن هـذا الفنَّ ، أو معظمه

فقال: من هذي ؟ ومن اهلها؟
وأيُّ أرضٍ أرضهـا المنعمه ؟..
فقلتُ : هـذي ، يا اخي ، طلسمٌ
نسبُها ، هيهـات ، لنْ تفهمه !
انشودة تردَّدت كالصدى
في خاطري ، مطربةً ، مؤلمه
أو زهرة قبَّلها شاعر
فعطَّرت قبلتها مبسمه

أو فكرة من عالَمٍ ملهَمٍ
طوّافة في أرضنا ، ملهِمه

مجهولة في ما خلا شكلها
آمنة من شرَكِ الأنظمه

دعها ، فاني مقسم أنها
لم تكُ يوماً ، يا اخي ، مجرمه !

١٩٤٢

وجوم المساء

الى التي كانت في نافذتها ،
بُعيد الغروب ، تبكي ...

وجوم المساءْ ...
أهـذا الذي ينثر الكبرياء
على وجنتيكِ ؟
وفيمَ البكاء
ولو شئتِ حطَّ الرجاء
على قدميكِ !

وفيمَ الذهولْ ؟
ووجهُ الصبـاح البتول
ولون السماء
ولون الصفاء
ولون النجوم قُبَيْل الأفول :
ظـلالٌ لما لاح في مقلتيكِ
من المستحيل !..

أتبـكين هـذا العفاء
بحضن المسا الادكن ؟
حنانكِ ، لا تحزني
غداً يستفيق الضياء !..

دعي الليل يأتي ... فوجه الظلامْ
رضىً وابتسام
وكم من فؤادٍ صدِ
شكا واستطاب الهيام
وصلّى ونام
رضيًّا يخيّم فيه السلام
بصدر الظلام الندي !..

حنانكِ ، لا تذرفي الكبرياءْ
فدمعي سخاء !
وبي ، يا مليحة ، لو تعلمين
حنينٌ دفين
وشوقٌ براء
الى غُصَّةِ الأدمعِ ...
بنفسيَ مثل احتضار المساء
فديتك ، لا تجزعي :
غداً يستفيق الضياء !..

١٩٤٥

يا حبيبي !

يا حبيبي ، هوذا الروض يغني
هو ذا الفيء الظليلُ
والنسيمات العليله
والندى ، فوحٌ بليل
والاغاريد الجميله
والسواقي ، والروابي ، والخميله
قم حبيبي نسمعِ الروض يغني !

أمسِ نقَّلتُ الى الروض خطـاي
يا شقايَ !
كل شيءٍ مثلما كان لدينا
فالفراشات على الزهر تحوم
والنسيم
عابقٌ بالطيب يختـال الهُوَينـا
والسواقي ، والروابي ، والخميله
والأغاريد الجميله
ألفُ لونٍ ، ألف شكلٍ ، ألف لحن
قم حبيبي نسمع الروض يغني !

يا حبيبي ، كل شيء مثلما
مثلما كانا
ما عدانا
قلّبَ الدهر لنا ظهر المجنّ
قم حبيبي نستعد ذكرى صِبانا
ودعِ الروض يغنّي
نغماتٍ في الترجّي والتمنّي ...

١٩٤٣

تعالى !

تعالَيْ ! هنـاكَ وراءَ التخومْ
وراء التلال ، وراء الغيوم
وراء النظرْ
هناكَ ، هناكَ ... وراء النجومْ
وراء محطِّ ظنون البشر
مكانٌ ... لعلَّ هناكَ مكانا
نعيش هدوءاً به وأمانا
ونُلقي الحذرْ
هنا ، في بيـاض عيون البشرْ !

هناك ديار العمى والصمَم
ديارُ البكَمْ
ديار انعدام الحواسْ
فانَّ القِمَم
في الجبال الرواسْ
لتجهل ما تنسج الضفدَعه
من القرقعهْ
على السفح ... تورية وجناسْ !

تعالي الى سلسبيلٍ صفاء
وفَيْءٍ يصفّق فيه الضياء
ودوحٍ وفوح وبوح براء
وطيرٍ تُنقّر «حاءً» و «باءْ»
فتنصب حاءً ونرفع حاء
سواءً سواءْ!

تعالي ، لعلّ وراء التخومْ
وراء الغيوم
وراء النجوم
وراء النظرْ
وراء محطِّ ظنون البشر
مكاناً خليّا
نقطِّر فيه الغرام شهيا
ونُلقي الحذر
هنا ... في بياض عيون البشر!

١٩٤٣

ضجر

مفعمةٌ نفسي بأوجاسها
حُبلى بآلام المنى والفِكَرْ
حيرى بحُلمٍ راقصٍ مبهمٍ
يهمس فيها تمتمات القدر
ما عزمتْ أمراً ، وهمَّتْ به
إلا انثنتْ ... زاهدةً بالظفر
مطواعةٌ ، جبّارة ، أوصدتْ
أبوابها دون الهوى والذِّكر

تشتاق اعداها ، وتغضي عن الـ
أحباب ...ما ألوى بها ؟ ما الخبر ؟..
يا ويحها غائمةً تجتلي ،
في مطهر الاهمال ، شرّ البشر !
ساهمةً ، سادرةً ، لا تعي
كالشاشة البيضا عليها صور
حيرى بحلمٍ راقصٍ مبهمٍ
يقرع فيها الحدث المنتظَر ...
من لي بذئبٍ نال منه الطوى
ألقمه حبّات قلب الضجر !..

١٩٣٨

اتركيني !

اتركيني ، واحملي ما قد تبقّى
من شبابِك
فضَلاتٍ شقّ فيها العهر طُرْقا
واقذفيها نكبةً في وجه غيري
لمحتْ عيناي ما تحت خضابِك !..

الجمال السمحُ ، مرآة الصفاءْ
كيف ألقيتِ به في الحمإ ؟
والحياءْ
نهلةُ الطهر وصوت الظمإ
والإباء
غضبة النفس على المجترىء
والرُّواءْ
نُضرة الغصن ولون الخُيَلاءْ
كيف ألقيتِ بها في الحمإ ؟
فغدتْ قبحاً وذلاً ورياء !..

قبلةٌ زوَّدتنيها يوم كنَّا
نغزل الأحلامْ
ما تُرى قالت شفاه الطيب عنا
ما تُرى ... الأنسامْ ؟..
قبلة كانت ، فكان الوجد فيَّا
مستبداً يملأ الصدر دويّا
والمنى أنغامْ
بينما أنتِ كدوح السنديانْ
كل محرورٍ لديكِ يتفيَّا ...

خلسةً ، رفَّ بعين الزمنِ
حلُمٌ مخضوضِرُ
لا تقولي ما يباس الغُصُنِ
عقَّتِ الأرض ... فشحَّ المطر!
أمسِ غسَّلتُ من الماضي يديا
والدموع
أطفأت نار الضلوع
أي شيءٍ قادكِ اليوم إليا ؟..

اتركيني ، واحملي ما قد تبقى
من شبابك
فضلاتٍ عفّ عنها البؤس رفقا
واقذفيها نكبةً في وجه جاري
لمحت عيناي ما تحت ثيابك
اي عار !

١٩٤٣

فكر

مجيبم ...

الكرى ، يا جفنيَ المقروح ، لا يأوي اليكَ
والهنـا ، يا قلبيَ المصدوع ، محظور عليكَ
والشقا ، يا فكريَ الوخّاز ، من صنع يديكَ

بعضُ ما في القبر أو في القفر ، يا ربَّ الحطيم ،
من خلودٍ وطمأنينة نفسٍ ونعيم ،
لو أتاني ، لنجا عبدك من هذي الجحيم !..

لماذا ؟

الى احمد الصافي النجفي

إلهيَ ، حلمَك ، اين المفرّ
ووجه السؤال استوى واستقرّ
لماذا ؟ وكيف ؟ واين ؟ ومَّ ؟..
عدمت صوابي بهذا الهذر !
نظرت اليكَ بعين الخيال
فتاه على قدميكَ النظر
وسرَّحت طرفي بهذا الوجود
فلم أَر للدين إلا صُوَر

وفكَّرتُ فيما وراء الوجود
فآمن قلبي ، وعقلي كفر ...

لعلَّ الجمال الطليق — وباسمكَ
هـذا الجمـال الطليق انتشر
فغرَّد في صلوات الطيور
وعربـد في سكرات الوتر
وصفَّق في خفقـات القـلوب
وهمهم في غفوات السحر

وجلجل في نَزَواتِ الشباب
وتمتم في هدآت الكِبَر
وأظلم في حُجُرات العيون
وأنور في لَفَتات البصر
وسال صفاءً بقلب المياه
واشرق نَوْراً بوجه الزهَر ...
ـــ لعلَّ الجمال الطليق انعكاسٌ
خفيٌّ لوجهكَ ، طلقُ الغُرَر !

ولست أشكُّ بأنـكَ انت
الوحيد ، المهيمن ، ربُّ البشر
تُميت الحياةَ ، وتُحيي المَوات
وتُجري المياه، وتُذكي الشَّرَر ...
ولكنني ما فهمت لمـاذا
تأبّط آدم خيراً وشرّ
فمـات البقاء ، وقام الفنـاء
يزيّن للراحلـين المقرّ !

أسائل نفسي لماذا خُلقتُ
وأمشي كأني على منحدَر
ويجهل عقلي معالم قلبي
ويجهل قلبي مجالي الفِكَر
سجين الزمان ، سجين المكان
طليق الأماني ، عقيل الذِّكر
تهدهدني بُغية المستحيل
الشرود فأبحث عما اندثر :
دروبٌ ، وأبنيةٌ ، وشعوبٌ
وخفق بنودٍ ... وأشيا أُخَر ...

وأرجع صفر اليدين أُغنّي :
عفا ، في ضمير الزوال ، الأثر !

وأُغمد ظنّي بمستقبلٍ
هو الأمل الضاحك المبتكَر

وتأتي السنون ، وتُطوى الظنون
مولولةً في مهاوي العُمر

فلا من وجودي قضيت اللُّبان
ولا من خلودي سأقضي الوطر !

وأنتَ ، إلٰهي ، لماذا خَلقتَ ؟
أما كان اولى اتقاء الخطر ؟..
سئمتَ ، على عرشك المطمئنّ ،
فراغَ الخلود وعُقم القدر
فزحزحت عن صدرك المستريح
ــ وانت القدير ــ حمالَ الضجر
وقلتَ لها : يا شقيَّة كوني
فكانت ، وكان الصفا والكدر
وكان الزمان ، وكان المكان ،
وكان السحاب ، وكان المطر ...

خلقتَ الحياةَ ، ونَولُ الفناء
يجهّز أكفان أهل الحُفَر
ودودٌ بهذا الحفير البغيض
يقول : تعالوا ، انا المنتظِر !
وقلتَ : جنانٌ لأهل الصلاح
وللفاسقين جحيم سقر
فماذا تريد بهذا الحساب
وماذا يريد بنا المنتظَر ؟
ونحن أتينا لأنكَ شئتَ
ورحنا ، وليس لدينا خبر !

اذا كان آدم ، بين يديكَ ،
جنى ، فالعقاب لمؤتي الضرر
وفي النار عندك شرُّ العذاب
لآدم ، ذاك الكَنود الأشِر
فكيف تريد بأبنائه
شقاءً ، وهم أبرياء غرر
وماذا جنيتُ — اذا كان جدّي
طغى وتجبَّر فيما غبر —
لأُحرمَ خُلداً وامضي بأمركَ
سعياً اليها ، شديدَ الحذر

وأشري هناها بألف شقاء
بدنيايَ ... والمغريات كُثُر ؟!.

هي الأرض ، جبلتها لا تطيق
السلام فللحرب فيها غُمَر
تروح شعوبٌ وتأتي شعوبٌ
وليس لهذا النظام غِيَر
فلو لم يكن ذهبٌ في الوجود
لما كان في الشانئين « مُضَر »

ولا روَتِ الأرضَ حمر الدماء
ولا كان سيفٌ بها قد قطر
ولكنه المال كبتُ السرور
وفيض الشرور ، وسرّ البطر !
لو ان لهذا الوجود عيوناً
ترى ما يقاسي ، لكان اعتبر
فبين المهود وبين اللحود
عبورٌ الى حيث تفنى الفِقَر
فهل في مدارج هذي الدهور
غنيٌّ بأمواله قد عبر ؟..

تقشَّف من يستسيغ اللّباب
فقالوا أَقلَّ ، وقالوا مكر
ولو أَنهم فعلوا مثله
لعاش الزمـانُ حميدَ السِّيَر

تُرى ، يا إلٰهي ، أَهـذي الجحيم
التي قد وعدتَ بها من فجر
يموت الاخـاء ، ويضوى الاباء
عـلى لمعـان الغوالي الدرر

وتُصلي ضروساً ، ويهوي الأنام
وقوداً ... لأنَّ اميراً أمر
وإنْ وضعتْ بعدُ أوزارها
فيا موتُ أنشدْ نشيد الظفر !

وكان من العدم البكر ، يا ربِّ ،
ما شئتَ : ليل ، وضوء قمر
ودفءٌ ، وفيءٌ ، وماءٌ ، وعشبٌ ،
وطَلٌّ كعقد اللآلي انتثر

وفوحٌ كأنّ سحاب الجنان
على الخالدين به ينهمر
متون جبالٍ ، وراح سهولٍ
وجوزاء لليل فيها خفر
وبحرٌ كعين الأماني فسيحٌ
بحضن التراب ارتمى واسبطرّ
وللزهر ، في الدوح ، انشودة
الطيوب ، اذا ما النسيم زفر
وللطير تغريدها المستميت
ليحيا ، على النغمات ، الحجر ...

اما كان ، يا ربِّ ، في جنَّةٍ
كهذي — يفوح شذاها العطِر
ويخفق فيها النسيم العليل
فتلثمه ورقات الشجر
فيشفى ، ويهدي سواء السبيل
غزالاً أغرّ لظبيٍ نفر —
أما كان يا ربِّ أشهى وأبهى
وأسلم ، ألا يكون البشر ؟!.

إلهي ، عفوَكَ ، اني هذَيتُ
ومن يا إلهي سواكَ عذر ؟

خيالي مريض ، وعقلي قعيدٌ ،
ولكن بحبّك قلبي استعر
وقبليَ كم من دماغٍ تمطّى
على الغور ، كيما يقال سَبَر
فنام على ظلمة المستحيل
تهدهده ذكريات السمر
هو السرُّ ، يخفى على الفيلسوف
ويظهر طوعاً لقلبٍ شعر
وللغيب فيما خلقتَ شؤونٌ
وللناس فيما خلقتَ عِبَر ...

١٩٤٤

سوداء

للناس ما شاؤوا ... ولي فترةٌ
أرتاح فيها من طِلاب المحالْ

في معزلٍ عن مغريات الفنا
مكفِّراً ، في مطهر الإعتزال

لا القلب خفَّاق بما يشتهي
ولا يضير الفكر وخز السؤال

ولا تهيم الروح ، ظمآنةً
وراء حق في سراب الضلال

ولا شعوري ، راكباً حَدْسه ،
يرقى الى المجهول عبر الخيال ...
في فترة أعيشها مغمضاً
جفني على المقدور في كل حال
أنسى بها الذكرى ، وأنسى المنى :
ماضٍ وآتٍ ... كل فجر زوال !
وهْمٌ هيَ الدنيا ، وماذا نرى
من عالم المحسوس الا الظلال ؟
فيا هوى الايمان ، يا ظالمي !
ان لم تكن وهماً ، فأنت الكمال !

١٩٤٥

عودة

مصائب الدهر ، يا ثريا تواعدتْ ، والتقت عليَّا
ولم اكن مجرماً اثيماً ولا ظلوماً ، ولا نبيا
وانما شاعر بريء يعيش في دهره غبيا
يشدُّه للثرى نصاب وعينه ترمق الثريا !

أهكذا تنضب الأماني وتنجلي نشوة الحُميا
وتنطفي جذوة ابتكاري ولا أرى حُلميَ الشهيا
وينقضي العمر بانتظارٍ مهشّماً عوديَ الطريا
وانتهي ، مثلما برتني بواعث المبتدا ، شقيا ؟!.

حسبت انَّ الهوى دواء ... فكنتِ ، يا طلقة المحيا
وكان حبٌّ كما يروم ... الشباب يدوي بنا دويا
شممْتُ شعراً ، هصرت خصراً ... رشفت ثغر الرضى جنيا
وذات يومٍ ، وانتِ قربي ... غوى هوانا فمات غَيا

وقيل سافرْ تجد عزاءً ... بما تلاقي ، فقلت : هيا !
قطعت بحراً ، وجزت براً ... أَحثُّ ، في رغبتي ، المطِيا
فمن مكانٍ الى مكانٍ ... حملت قلبي براحتيا
وعدت ابكي على شبابٍ ... يذوب يأساً ببردتيا

وقيل علمٌ فقلت علّي أرى طريقاً به سويا
وراودتني مؤلفاتٌ على الاحاجي هوت هُويا
أذبت فيها سواد عيني ... فلا اكيداً ولا جليا
محاولاتٌ لمستحيلٍ تريكَ عقل الورى صبيا!..

ورحتُ أرجو لبُرء نفسي شفاءَ داء الورى ...عصيا!
فذا بخيلٌ وذا رذيل وذا جهول يموت حيا
وبعد عمرٍ من التفاني بذلت فيه العنا سخيا
رأيتني قاصداً سراباً يلوح ، في بعده ، دنيّا !

وساورتني رِغاب حقدٍ فقلت نفسي ، وما إليا
وعشت في إثرتي زماناً كأنّ موتاً يدبّ فيا
أُحِسُّ أني ، وليس نفعٌ وليس ضُرّ بقبضتيا
كزيزفونٍ بلا ثمارٍ يعيش في عقمه زريا !..

وربَّ كهفٍ حططْتُ فيه رحال زهدي وقلت : حيا !
وقفت نفسي على صلاةٍ اذبت قلبي بها رضيا
فخالجتني بروق شكٍّ غدا جبيني لها نديا
وفي قنوتي ، بدا قنوطٌ فحال زهدي هوىً فريا !

فيا إلٰهي ، اما لهذا العقال حَلٌّ بمعصميا ؟
ويا إلٰهي ، أما لهذا الخفوق هَدْءٌ بجانبيا ؟
ويا إلٰهي ، أما لهذا الظلام فجرٌ بمقلتيا ؟
أما اهتداءٌ ؟ فان قلبي على شكو كي هوى ضِيَّا !

ويا ثريا قطعتُ هذي الحياة ، خدنَ الشقا ، وفيا
فلا بحبي ، ولا بعلمي ولا بزهدي أفدت شيا ...
مضت حياتي بلا نظامٍ ترج في الغاية المُنَيا
يزيغ فكري على خيالي فيلتوي القصد في يديا

فليت أني قنعت يوماً — قرير عينٍ — بما لديا
ولم أحاول — أنا المُعمَّى — الى مراقي الحجى ، رقيا
فرُبَّ جهل يكون فيه الفؤاد خالي الهوى ، ذكيا
ورب فقر تكون فيه ، على بساط الرضى ، غنيا

يعودني الحب ، يا ثريا مطهَّراً ، طاهراً ، نقيا
فلا أجيجٌ ، ولا ضجيج ولا عجيج ... ولا بُقيَّا
وانما طرفة ادّكارٍ تُبلور الماضيَ العتيا
فأُغمض الجفن والقوافي ترِتّل الحُلْم ، عبقريا ...

١٩٤٥

سراب

الى روح المعري

ما المبتدا ؟ ما المنتهى ؟ ما الغدُ ؟
هواجسٌ شطَّ بها المقصد !
من أزلٍ محلولكٍ ، مبهمٍ
يطغى عليه أزلٌ أربد
لأبدٍ مبتعد ، مغلق
يعجُّ فيه أبدٌ أبعد
نمشي ، ولا يعلم عُلَّامنا
حتَّام نمشي ، او متى نقعد
نمشي ... ويبقى في ضمير المدى
ما يمَّحي منا وما يخلد !

في كل يومٍ للنُّهى معبد
وينطوي في المنتهى معبد
والفكر ، هذا الفكر في جهده
كأنه في ظلمة يجهد
يستشرف المجهول من كوَّة
في وجهها كم من كوىً توصد
فكلَّما أوقد فانوسه
وسار شوطاً ، أطفيء الموقد !
هيهات ! ما العلم سوى ومضةٍ
تحار فيها الأعين الهُجَّد

أكلما حلَّ الحجى معضلًا
يشتقُّ منه معضلٌ أعقد
من غامضٍ نسعى الى غامض
فنحن ندنو ، والمدى يبعد
وربما عدنا الى بدئنا
نسير ما سرنا ، ولا نقصد
كالكون هذا الفكر يجري على
دائرةٍ ليس لها منفد !

قالوا : نجوم الفلك دوّارة
ألشمس وألاقمار والفرقد
وألأرض غازٌ ملهب أصلها
تجمَّدتْ ، ثم غدت تبرد
والسحب زفرات المياه التي
تبخَّرتْ من حرِّ ما توقد
والنور والصوت اهتزازٌ يعي
ما تبرق الدنيا وما ترعد ...
حقائقٌ ، لا ريب ، موثوقة
لكنها ، يا ناس ، لا تسعد !

هلا أجبتم ، يا أُهَيْلَ الحجى
ما الرّوح ؟ — هل يحيا بها الجلمد؟
ما الذّات ؟ ما الاقدار ؟ ما المبتدا؟
ما المنتهى ؟ ما المهد ؟ ما الملحد ؟
هل يولد الانسان عفواً ، فلا
بدءٌ ، ولا رجع ، ولا مِقوَد
أم أنه جاء على موعد
وراح لما أزِف الموعد
هيهات ! ما العلم سوى ومضةٍ
من دونها المحلولك الأسود !

... ويا رهين المحبسين انقضى
ألفٌ على الدنيا ، وباقٍ غد
والنـاس فيهـا مثلما خلتهم :
هذا أخو كيدٍ ، وذا أكيد
يجني على الأبناء آباؤهم
في غمرةٍ يشقى بها الأسعد
والحزن إذْ يقضي فتىً منهم
أضعاف بشرٍ عندما يولد
والمرأة المغناج لمَّا تَزَلْ
ممقوتةً ... لكنها تُعبد

والدين ، هَفْوُ القلب ، في مسجد
والقلب لا يهفو ولا يسجد
والكذب والتنجيم شدَّتهما
حبائلٌ بالعلم تستنجد
والعقل ، في قدرته ، عاجزٌ
عن فهم دنياه ، كما تعهد
والسرُّ ، وَجه الحق ، في مخبإٍ
او أنه في الكون لا يوجد !

ألفٌ مضتْ ، والفكر ماضٍ الى
ما ليس للتفكير فيه يدٌ
مأساة حمقٍ كالتي مثّلت
بها القطة البلهاء والمبرد
من بعدكَ الدنيا ، ترى غرّها
فوز الهيولى والهنا الأنكد !
غاصت بجوف البحر او حلّقت
راكبة متن الهوا ، تصعد
فلا البخار المصطلي شافع
ولا الاثير المستحي منجد

والدرب ما زالت على حالها
شائكةً من دونها الفدفد !
والمرء مطويٌّ على ذلةٍ
غلافها الاعجاب والسؤدد
روايةٌ أجزاؤها أدهرٌ
والدهر في أحنائها مشهد
مهزلة القلب الذي لا يني
مسترشداً ، والعقل لا يرشد
فهذه الظلمة لا تنجلي
وهذه الجذوة لا تخمد !

والفكر ، إرث العقل ، مستوضحُ
يضجّ فيه الجوهر المفرد
زاغت برقص الآل أبصاره
وقد نأى عن جفنه المِرود
فناء جهداً ، والتوى ناهشاً
إيمانه ، يهذي بما يجحد
كالحية الحمقاء عضّت على
ذنبها ، من شر ما تحقد

ألفٌ مضت ، والماء تحت الثرى
في مخبإٍ ، ما شامه الهدهد
هيهات ! ما العلم سوى ومضةٍ
من دونها المحلولك الاسود !

١٩٤٤

محمد

سبّحي الله يا رمال البيدِ إنما أنتِ حفنة من خلود !
هلّلي ، واخشعي ، على دفقة الفجر ، وفيضي نوافلًا ، واستزيدي
واستحمّي بالشمس ، لاذعة الدفءِ ، طهوراً كالذكر عند السجود
والعبي بالمنى ، بمنسرح الوحي ، طروباً ، بريئةً كالوليد
واستجمّي على خفوق سرابٍ في حناياك ، مستقرّ الشرود
واحضني الكبرياء ، في خضرة الواحات ، غيناء ، باسقات القدود
واهزجي ما تشاء صلصلة اللُّجْم وصوت الحادي ورجع النشيد
واهتفي بالزمان ، يا بنته البكر ، هتافاً مرجّع الترديد
وتمادَيْ ، في زحمة الفخر ، تيهاً يترك الكون في انكماش الحسود:
أنتِ أطلعتِ للدُّجى ، في دروب الهَدْيِ ، نور المحمَّد المحمود !..

سيد المرسلين جاء يتيماً يا اعتزاز الأيتام بالمولود !
حضنته في المهد **آمنة** الأمُّ ، عزيزاً ، في ظلِّ جدٍّ ودود
مضتِ الستُّ من سنيه فماتت أمُّه ، بسمة الرِّضى المرفود
وقضى الجدّ بعد عامين ، فالطفل المفدّى لعمِّه الصنديد ...
وتملّى **الامين** من سؤدد اليُتم ، فألوى على اتضاعٍ حميد !..
يوم شِيدَتْ ركائز **الكعبة** الغرّاء طوعاً لرائد التشييد
عجمتهم ركيزة **الحجر الاسود** ، فالقوم في خلافٍ أكيد
وأطلَّ **الامين** — أوّل من جاء — وفاقاً لحكم ربٍ مريد
فإذا **الاسود الكريم** انتظارٌ في مطاوي عبائه المقدود
وإذا القوم — زال بينهمُ الحقد — سواءٌ في حظوة وجدود !..

يا خشوع السجود في **الغار** سراً والدياجير مسبلاتُ الجعود
وفؤاد النبيّ ، بدءَ انبلاج الوحي ، كالقوس في يد الرعديد
قانتٌ في الصلاة ، والروح سكرى تتملّى من حُلْمها المنشود
وشكوكُ الايمان ، في المُبهم المقدور ، تشكو لله ذلّ الجحود
والضمير الخفّاق يستعجل **الذكر** ، دواءً لداء ذاك الهَجود ...
يا خشوع السجود ، ألارض لانتْ لابتهال الموَلّه المعمود !
رفقتْ بالجبين يخدشه العَفْرُ ، فزانت جبينها بالورود
ورتاج السماء ، قد فتحته يد **جبريل** بارتجافٍ شديد
وانجلى **الحرف** — باسم ربّكُمُ الأعلى — يزفُّ انبثاق **روحٍ** جديد
وتهادى **القرآن** لفظة حقٍ رجّعتها الوهاد إثر النجود !..

وقف **المصطفى** على باب **حرّاء** ، مُطِلاً على المدى الممدود
خافق الصدر ، مكفهرَّ المحيَّا شاخص الطرف بالفضاء البعيد
مشرئباً ، مروّعاً ، مستفزاً مستعيداً ذكرى الهتاف المجيد
مدَّ يمناه للعلاء فذرَّتْ نجمة في السما ... وبالبشر نودي !
صرخة **الحق** بـ **الهوى** ... ما دَوِيُّ الرعد إلا صدى ارتعاد الوجود
مادتِ الراسيات خسفاً ، وسالت في عروق الأوداء حمَّى الصعود
وتعالت **ألله أكبر** ذكرى للموالي ، وللكرام الصيد
فأضاءت ، في ظلمة القبر — عفواً — قسمات المولودة الأُملود
وتساوت ، في نعمة الله ، بالتقوى ، كرامات سيِّدٍ ومسود
وتجلّى **الاسلام** عدلاً وحِلماً وانصهاراً في فكرة المعبود

أَدِّبوه ، ذاكَ الذي سفَّهَ **العزّى** ... كلاماً يجوز حدَّ الحدود !
وانبذوه من **ندوة** العرب العرباء ، يلقى مذلَّة التشريد
واذبحوا **السائبات** عند **مناةٍ** واغسلوا **اللات** بابنة العنقود
واضفروا الغار فوق **ذى الخلصة** الصَّلد ، على قدس تاجه المنضود
واستميلوا جميع آلهة الصحراء بالعطف ، والتُّقى ، والوعود
علَّهم يعذرون ان قريشاً أطلعت كافراً بدين الجدود
هدِّدوه بالخسف ، بالنكبة الجلّى ، لعلَّ الخلاص بالتهديد
فاذا لم يَعُدْ ... فيا **وَدُّ** رشقاً بنبالٍ تفري غضون الوريد
أقتلوه ، ذاكَ الذي يأخذ الناس بقولٍ كالسحر في التجريد :
إنه العار أنْ نرى في قريشٍ مثل هكذا المنكِّد المنكود !

هكذا قال أثرياء قريشٍ إنها سَورة الهوى والجمود
أجفلتهم — وهمْ غطارفة البيداء — بشرى زوال مجدٍ تليدَ
انما المؤمنون اخوة صدقٍ — أتؤاخي قريش سرب العبيد؟!
أيكون الثَّراء بالميسر الميسور إثماً ، وبالربا المعهود ؟
والملذّات ؟.. بعدُ تأتلق الدنيا بعينَيْ مُرنَّحٍ عربيد !
وقصورٌ من التقاليد والعادات شِيدتْ في ماضيات العهود
أيهدُّ الاسلام ، في آخر الدهر ، بناها ، بمعول التجديد ؟..
هكذا اهتزّ ، في أصول قريشٍ ، مثل حَدْسٍ بقرب خطبٍ فريد
فتنادوا ، في ردهة الكعبة الفُضلى يثيرون كامنات الحُقود
ومن الصعب تَرْكُ ما تَرَكَ الأجداد من سُنَّةٍ ومن تقليد !..

أَمرَ الله ، يا محمَّد ، هـذا في نظيم الزمان ، بيت القصيد
قمْ ، على الليل ، قبل مُنبَلَجِ الفجر ، وذَرهُمْ ، على الأذى ، في هُجود
واهجرِ البـلدة المكرَّمة السمحـاء حُبلى بكُبْرَيات الوعيـد
غدك الفتح باسم مَنْ سمكَ الدنيا إطـاراً لتـاجه المعقـود
سوف يعنو للحقّ ، في مكة الزهراء ، طبع الجافي و كيد الحَقود !
سبِّحِ الله ، قـد أتى الرجل الصدّيق ، والليل مدلهمٌ الخدود
و عَلىٌّ الى فراشك ينسلُّ احتيـاطاً مبـاركَ المقصـود
وعلى الغار يرصد العنكبوت البرُّ ، دفعـاً للطـارىء المرصود
فلتكنْ هجرة يرجّعهـا الدهر غنـاءً مرتّل التجويـد
وليقفْ عندها الزمان ... ويمضي واسمهـا في لسانه الغِرّيد !..

دعوة الحقِّ لا تنام على الضيم ، فلا بدَّ من قتالٍ مبيد
كم دعاهم لله دعوة صدقٍ فأجاب الجفاء بعد الكُنود
جنَّدوا الصيد من رجال قريشٍ أَوَ يخشى الرسول بأس الجنود
هم أرادوا بدراً فكانت ، وكان الفتك فيهم بعنفه المشهود
هم أرادوا لقاء حمزة — يا أُسد اقشعرّي ، ويا جحافل بيدي !
هم أرادوا لقاء صمصامة العرب ، عَليٍّ ، بـ ذى الفقار الحديد
فالرجال الرجال منهم شظايا والبواقي على انهزام الطريد !..
أخفقي راية النبيِّ ، على الانصار ، فوق المهاجرين الأسود
أنتِ أسمى — في نُصرة الحق ، في الإسلام ، في الله — من جميع البنود
رجع الجيش ظافراً مطمئناً وصليل السيوف ملءُ الغمود !..

وقعة ، بعد وقعة ، بعد أُخرى ... إن هـذا الانسان جدّ عنيد
تشهد البَهْم للحقيقة أحيـاناً ، ويبقى الانسان غير شهيـد !..
حَصْحَصَ الحقُّ ، والتقتْ أمّة العرب على نجم دينها المسعود
ومشى موكب النبيِّ الى مكة ، يختال بانسيالٍ وئيد ...
بـلدة الكعبة المطهَّرة المئنـاف ألقت سلاحهـا للعميد
فادخلوها يا أهل **يثرب** ، إسلاماً ، دخول المظفَّر المجدود
واتقوا الله في معاملة الأهلين : أمرُ النبيِّ ، ما من مَحيد !..
وقف **المصطفى** على الكعبـة الطُهْرِ ، ودقَّ الجلمود بالجلمود
فتهاوَتْ **أنصابها** تسحق **الاذلام** ، عمياء ، في وقارٍ بليد
وثوى الشرك في الحضيض ولاحتْ في السماوات نجمة التوحيد !..

سيّدَ العرب ، والتساهلُ حِلمٌ أنتَ رمز لِمُلكنا الموعود
كم بآي القرآن من مكرماتٍ للنصارى ، ومثلها لليهود
همُ أهل الكتاب ، فليتَّقِ الله بأهل الكتاب كل رشيد !..
نحن في شاطىء الهدى ، من بلاد العرب ، إخوان تضحياتٍ وجود
صهرتنا الأيام ، في مجمر المكروه ، شعباً موحَّد المجهود
فطلعنا على العوالم **فكراً** و **لساناً** مستعذب التغريد
و **فؤاداً** معذَّباً ما يظلّ الكون في مثل رجفة المفؤود !..
ان لبنان ، يا نبيّ ، رسول النور في عالم المآتي السود
يحلم **الارز** يوم عيدك بالنجوى افتراراً على **النخيل** السعيد
وتمرّ **البيراء** ، في حُلْمه المبرور ، كالطَّيف ... حفنةً من خلود !..

١٩٤٥

اليتيم

الى اليتيم العربي

يا ربِّ ، وحدي ، والسُّرى عذبٌ أليمُ
أمضي إليك يُقلِّقني الليل البهيم
وبخاطري المكلوم صوتٌ يستغيث : انا اليتيم !

يا ربِّ ، زُغبُ الطير ، في وكناتها تحت الجناحِ
تغفو ، بظلّ الأمّهات ، على تراجيع الصُّداح
وعلى خُلوص الودّ ، في دفء الحنان المستباح
يشتدّ في الزَّغَبِ الحنين الى مكافحة الرياح
فيحول ريشاً ريِّشاً حدّاً كأسنان الرماح !
تحت الجناح الأمّ تخفق نسمة العطف الصُّراح

ويزيغ هول الليل ، في الرؤيا ، على أمل الصباح
وتُنقِّل الأفراخُ أحلامَ الصّبا ، فوق البطاح
تتلمَّس الأجواء ، بالانظار ، قبل الإنسراح
توّاقةً للزهر ، يوم يضجّ في طلب اللِّقاح !
وانا اللَّطيم ... أَبي وأُمي ... وَيكِ يا دنيا البَراح !
لم يبق لي ، في نكبتي النكباء ، من يأسو جراحي
إلا النحيب المستديمُ
والبؤس والقلق المقيم
فأنا اليتيم تعاقبتْ عِلَلُ الشَّقا
لتذيقني السمَّ الزّعاف ، انا اليتيم !..

يا ربِّ ، أبنـاءُ الأكابر ، بالدمقس وبالحريرِ
يتقلَّبون على الأرائـكِ في ملذّات القصـور
ما بين وُلدانٍ — بأثوابٍ موشّاةٍ — وحور !
إن يعطشوا ، فالكوثر السلسال في كوب النضير
أو يسغبوا ، فطعامهم ، يا ربّ ، أكباد الطيور
أو يتعبوا ، فالنوم معقود بنـاصية السرير !..
بسمتْ لهم دنيا معربدةٌ باحضـان السرور
فتهافتوا مثل الفراش عـلى قوارير الزهور

يترشَّفون الشهـد أنداءً مُبَلْوَرةَ العصير !..
أَلعطف عندهمُ تثنّي الخصر ... ما شأن الفقير ؟..
والعدل وصف القدِّ ميَّاساً ... فما حكم الضمير ؟..
واليُتم يا ربّاه ، وصف الدرِّ منقطعَ النظير !

اما المتاعب والهمومُ
والعريُ والجوع القديم
فلها اليتيم ، تعوَّد البلوى على
أعقابه ، والنائبات لها اليتيم !..

يا ربِّ ، جلجلَتِ الرعود ، على البروق اللُّمَّعِ
وتصافحت هُوج الرياح ، من الجهات الأربع
مجنونةً ، تجتاح ما تلقى ... زوابعَ لا تعي
ويدور لولبها ، وتومىء للسماء بإصبع
كالمارد الملتفّ بالغبراء ... وجهُ المطمع !..
المربع المعمور في مثل اندثار البلقع
والطير ، من شُرُفاتها ، زفَّت وراء المفزع
تهفو ، من العشِّ المنيع ، لجَوْفِ وكنٍ أمنع !

X

والضفدع المكسال خافتْ في حمى المستنقع
والبحر في التصخاب ... يا هول السماك الشُرَّع !
والكون ، وجه الكون ممتقعٌ بلون المصرع ...
كل ابن انثى ، يا إلهي ، لائذٌ بالمخدع
تحدو له أم رؤومُ
وابٌ على البلوى رحيم
إلا اليتيم ، فراشه كف الثرى
ولحافه رِدن السما ... إلا اليتيم !

يا ربِّ ، أضناني المسير الى السراب المجفلِ
وتنعَّلتْ قدمـايَ إيـذاءَ الطريق الموحل
وخبـا ، على الاخفاق ، إيماني بطيب المنهل
أوَما لهـذا الليل حُلمٌ بالصبـاح ، فينجلي ؟!.
تنتابني حمَّى الحيـاة ، على بريق المـأمل
وبيَ انعتـاق النسر مشبوباً ، ودفق الجدول
فأروح مطَّلِبـاً ... فألقـاني بأرضٍ جندلِ
يجتاحني عصف الجوائح ، في مهبِّ الشمـأل

ويحطني شِلواً على باب الحياة المقفل ..
يا ربّ ، ضيفك ، في عبادك ، وِقفةُ المتطفّل
يُقرى — متى يقرى — كُناسات الخوان المثقل
وترجّع الاصداء ذكر المحسن المتفضّل ..

دنيا تؤجّ بها الجحيمُ
فقراً ، وللمال النعيم
وأنا اليتيم ، وعِزوتي مفقودة
أمشي على ذلِّ السؤال ، أنا اليتيم !

يا ربّ ، ضاق العيش في طلب الكِسا والمطعمِ
وتناوبتْ أيدي الشقاء على امتهان المعدم
أبداً ، على باب البخيل ، بغصّة المتلعثم
يرجو ... فيُنهَر قسوةً فيعود مكمومَ الفم
ويسكّنُ الجوع القديم بطعم جوعٍ أقدم !..
أوَتجهلُ الأموال أنّ لنا بها حقنَ الدَّم ؟
نحن اليتامى ، — والبعوض يخزّ عين الضيغم —
دَعَةُ الخراف البيض فينا ، وامتعاض الأرقم !..

قسماً بكهف الناصرىِّ ، وبـ الحطيم و زمزم
إنْ لم تُقِرَّ لنا الحياة بحقِّنا في المغنم ،
لنمزقنَّ حجابها الجافي ... ويا نُظُمُ ارتمي !
فالمجرم المضطرّ للإجرام ، ليس بمجرم !..
ان لم يكن عدلٌ حكيمُ
فالمستبدُّ هو الملوم
يسعى اليتيم الى الحياة ، فإن أَبَتْ
فإلى الحياة ، على الأذى ، يسعى اليتيم !

يا ربّ ! عيسى ابن البتول ، على الشّنار الأسودِ
يندى ، فيكتحل الظلام بفجر ذاك المِرْوَد
والكون ، من قُلَل التجبُّر في الهوان السرمدي
يهوي الى كنَفِ التواضع ، نابضاً بالسؤدد
متحفِّزاً مستشرفاً عدلَ النبيّ محمد ...
باركتَ ، يا ربي ، اليتامى بالمسيح وأحمد
وهديت بالإنجيل والقرآن خطوَ المهتدي
وضفرت نُبل المحسنين على جميل المقصد

وكفيتَ حاجَ ابن السبيل ، وسُؤلة المتشرّد
وكسرت رايَ المستبدِّ ، وشوكة المتمرّد
وحبَوت هذا الناس ، في الدنيا ، هناءَ المَحْمَد
وحبوت هذا الناس ، في الأخرى ، نعيم الموعد
وغداً صراطٌ مستقيمُ
لا يستقيم به الظلوم
يلقى اليتيم ، على الصراط ، نصيبه
وضيوفه يلقون ما يلقى اليتيم !..

يا ربِّ ، عفواً رُبَّ قولٍ قُدَّ من قصدٍ نبيلِ
جمحت به أهواء قائله وراء المستحيل
فتكلّفت أصداؤه معنىً كنكران الجميل...
ما قلت إنَّ البِرَّ في دنياك مجذور الأصول
بوم اليتيم ، على وميض بروقه ، اسمى دليل .
لكنه ، يا رب ، كيفيٌّ على هَبّ الميول
والمحسنون همُ القليل ، ونحن كثر في السبيل
والصدق ما قال السموأل في الكرام وفي القليل !..

فاجعلْ ، إلٰهي ، دفقة الاحسان شافية الغليل
وامنح لهذا البرّ ، في الأيتام ، عاطفة الشمول
وافسحْ لنافلة الكريم ، وهُزَّ أعطاف البخيل
ليسدَّ ، يا ربي ، كفافُ العيش أبوابَ الفضول

حتى اذا كبر اليتيمُ
لا تُستفزّ له كلوم
وعلى طريقٍ خدَّها كفُّ الندى
يمضي اليكَ يُقِلُّه الفجر الكريم ..

١٩٤٥

صلاة الناسك

يا ربِّ قرِّبني اليكَ وأبعدِ الشيطان عنّي
وابسطْ عليَّ رواق حِلمك واقبلِ الأنفال مني
فلطالما أثمتْ يدايَ وغاص في الآثام ظني !

ولقد تمرُّ بيَ الخطيئة ، لونها لون التمني
غيناء ترفل بالشعاع كطرفة الحلم الأغنّ
تستلفت الأنظار ، كالطاووس ، بالذيل الرِفَن
فأغضُّ طرفي ، وهي تُغريني بأنواع التثني
وأكافح الاغراء بالتقوى ، وايماني مِجني
وأسلسل الصلوات رُقْياتٍ على الليل الأجن

فتزيغ أشباح الخطيئة والرذيلة والتجني
بين الفرائض والنوافل والخشوع المستكِن
ويُطوِّف الاشراق رقراقاً على وجه الدُجن
فأثوب مدفوعاً الى ربي ، بقلبٍ مطمئن

ربي !.. سألتك بالجمال محبَّباً في كل فن
وبسرِّ ما أَلقيت من عِبَرٍ على انسٍ وجن
وبروح هاتيك التي ضجَّتْ ، معنَّقةَ ، بِدَنّ
وبما أَمرتَ ، وما نهيت ، وما يريد الحق مني ...
لا تُبعدَنّي عن هواكَ ، وأَبعدِ الشيطان عني !

١٩٤٥

الفهرست

الصفحة

خيال ٥

خاطر ٦

انتظار ١٢

شروق ١٤

غروب ١٨

سجا الليل ٢٠

يا ليل ٢٦

منية ٣٠

قلب ٣٣

سارية ٣٤

دعوة ٣٧

ندى ٤٠

في السينما ٤٢

وجوم المساء ٤٥

يا حبيبي ٤٩

تعالي ٥٢

الصفحة

ضجر ٥٦
اتركيني ٥٨
فكر ٦٣
جحيم ٦٤
لماذا ؟ ٦٥
سويداء ٨١
عودة ٨٣
سراب ٨٩
محمد ١٠٠
اليتيم ١١٠
صلاة الناسك ١٢٤

انتهى طبع هذا الكتاب على مطابع الاتحاد
بيروت في ٤ نيسان ١٩٤٦ .

DATE DUE

JAFET LIB.
- 1 JUN 1982
JAFET LIB.
30 MAR 1998
Circulation Dept. 4
JAFET LIB.
30 JUN 2007
Circulation Dept.

حيدر ،سليم
آفاق
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01033865